الخطبة وانواعهما :

الخطابة ظاهرة أدبية معروفة لدى جميع الأمم فليس هناك من مجتمع لم يعرفها وهو يسعى نحو تناميه واستكمال كيانه والأخذ بأسباب حضارته ومجده، سواء أكان ذلك المجتمع صغيراً يتألف من قبيلة واحدة أم كبيراً كالمجتمع العربي بقبائله الكثيرة والمتعددة.
وإذا أرادت أمة أن تفتخر بخطبائها وسحر لغتها فالعرب في مقدمة هذه الأمم، ولا تزال قصص الخطب التي فتحت مدناً بل بلاداً وقارات بأكملها تدور في ذاكرة البشر ترافقها صورة **(حرق المراكب)**[1] . فضربوا مثلاً بخطيب عربي ثائر قديم طرد المحتل من الجنوب العربي هو **(سيف بن ذي يزن)**، واسمه **(معد يكرب بن ابي مرة)** وكان قد أحرق المراكب بعد أن نزل بجنده على الساحل وألقى خطبة ملتهبة فيهم ليحرر الأرض العربية من يد محتلها .

وكذلك فعل **خالد بن سلمة المعروف بالسفاح** ، لأنه سفح روايا قومه وقال لهم:

ـ ان حالوا بينكم وبين الماء ظفروا بكم.

وقد فعل ذلك لكي يجعلهم لا يعتمدون على مائهم ولكي يقتتلوا بشجاعة حتى لا يحال بينهم وبين الماء ، ولم تصل الينا خطبة السفاح.

وكذلك فعل مثله قائد عربي اخر في العصر الجاهلي هو **بسطام بن قيس** حين هرق ماء جيشه والقى فيهم خطبة فقال: **(العدو من امامكم والصحراء والعطش من ورائكم) .**

وقصة **طارق بن زياد** مشهورة وقد عاد بها الى الاصل العربي في عملية **(حرق المراكب) .** ووضع المقاتلين امام المصير المحتوم لضمان النصر. وقد تأثرت امم كثيرة بهذه المواقف الخطابية الذكية للقادة العسكرين فاستلهموا منها روح المقاومة وقلدوا اصحابها في جميع العمليات الحربية فضمنوا لأنفسهم نتائج الحرب [2] .

اقسام الخطب:

1ـ الخطبة الحماسية.

2ـ الخطبة الوعظية.

3ـ الخطبة الموسمية.

4ـ الخطبة الرسمية.

---

[1] تأخذ ظاهرة حرق المراكب لحمل الجيش على عملية انتحارية لتأكد النصر، بعداً تراثيا في العصر الجاهلي. وتبرز الظاهرة في ايام العرب من قيام الخطيب بسفح المياه واراقتها لكي يهدد جيشه بالظماء القاتل فينتصر.
[2] تنظر مقالة في مجلة: دراسات ادبية ولغوية (عدد خاص) الكويت 1978.

5- خطبة الاملاك.

1- الخطبة الحماسية :

والخطبة الحماسية تهدف إلى التربية الحماسية وإلهاب شعور الناس وتوجيههم نحو القضية المنشودة فإن لفظة الحماسة هنا تعني نفس مدلولها القديم الخاص بالمواقف القتالية والمشاهد الحربية.

وتتسم الخطب الحماسية بسمات صارت فيما بعد سمات لكل أنواع الخطب، عدا خطبة **(الامـلاك)** فقد جرى العرف في الخطب أثناء الحرب وقبل بدء القتال أن يخطبوا واقفين أو على صهوات خيولهم أو من فوق مرتفع من الأرض وكان القائد أو الفارس يخطب وسيفه أو رمحه في يمينه وربما استعاضوا عنها بالراية ويكون الخطيب بكامل زيه الحربي وقد غطت رأسه القلنسوة او البيضة او ما يضعه المقاتل على رأسه اتقاء ضربات السيوف او غيرها. وقد يستعاض عنها بأن يلتاث المحارب بعمة سوداء كانت العرب تعتجر بها ايام الترات. وكانت الخطبة الحربية البليغة تؤدي مهمة الجحفل الزاحف في ترجيح كفة النصر. وقد كان الزعماء والقادة يتبارون بالخطب وسحر اللغة وروعة البيان وشدة أسر البلاغة وقوة المعاني, قبل أن يتبارزوا بأسلحتهم.

وتقتضي الخطبة أيضا أن يكون صوت الخطيب جهوريا مؤثرا حاضر البديهة مالكا لزمام نفسه , متجهة نحو جنده بمجامع قلبه وعقله وكل جارحة من جوارحه فلا يشغل وهو يخطب في شيء سواهم وسوى خطبته فلا يلتفت ولا يشغل يده بأمر خارج الخطبة, لأن مثل هذا التصرف يفسد جو المناسبة ويبرد الحماسة, ولذلك عيب على الخطيب أن يعبث بأصابعه أو يهرش بها رأسه أو لحيته أو يكثر من رفع يديه أو كفه إلى فمه أو أنفه أو أذنه, كما عيب عليه التلعثم والحصر والارتعاش والتنحنح, وتوسيع الأشداق (التشدق) وتهديل الشفاه .
وتتفاوت الخطب الحربية في طولها وقصرها من خطبة لأخرى بحسب المناسبة أو الموقف الذي يقرر الخطيب بمقتضاه كيف تكون الخطبة إذ ليس طول الخطبة ولا قصرها هو الذي يحكم بجودتها ونجاحها. يقول الجاحظ: [3] اعلم أن خطب العرب من أهل المدر والوبر والبدو والحظر على ضربين, منها الطوال ومنها القصار ولكل ذلك مكان يليق به وموضع يحسن فيه.
ومن خطباء الحرب المذكورين **قيس بن خارجة بن سنان** الذي خطب في يوم **داحس والغبراء**، النهار بطوله الى الليل [4] حيث يغلب عليها طابع السجع. ولعل ذلك يعود الى تشبثها بالأسلوب الشعري الذي يصلح للحماسة يومئذ اكثر مما يصلح لسواه.

---

[3] البيان والتبين 7/2 وينظر العقد الفريد 54/4 (لجنة التأليف) -
[4] البيان والتبين 117/1.

قـال **هـاني بـن قبيصـة الشـيباني** يحـرض قومـه يـوم ذي قـار [5]: **يـا معشـر بكـرٍ، هالـك معـذور، خيـر مـن نـاجٍ فـرور؛ إن الحـذر لا ينجـى مـن القـدر، وإن الصـبر مـن أسـباب الظفـر؛ المنيـة ولا الدنيـّة؛ اسـتقبال المـوت خيـر مـن اسـتدباره؛ الطعـن فـي ثغـر النحـور، أكرم منه في الأعجاز والظهور، يا آل بكر، قاتلوا فما للمنايا من بد.**

2- الخطبة الوعظية

والخطـب فـي الجاهليـة عديـد ومتنوعـة ومـن أشـهرها الخطبـة الوعظيـة التـي يغلـب عليهـا الطـابع الـديني ويـندرج تحتهـا وعـظ الوالـد ولـده أو الرجـل أهلـه أو الشـيخ قبيلتـه أو قومـه، وهـي دعـوة إلـى التمسـك بالعـدل وأخـلاق العـرب فـي المـروءة ونصـرة الضـعيف وإغاثـة الملهـوف ثـم الكـرم والتضـحية والإيثـار، وبعـد ذلـك هـي دعـوة لاستصـغار أمـر الـدنيا والاسـتهانة بشـأنها، ومـن أبـرز الخطبـاء أنـذاك فـي مجـال الـوعظ **هـو قـس بـن سـاعدة الإيـادي** وقـد وعـظ النـاس **بسـوق عكـاظ** ويقـال إن الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم حضـر الخطبـة وكـان يومئـذ فتـى فـي مقتبـل العمـر، فقـال: **أيهـا النـاس،اسـمعوا وعـوا وإذا وعيـتم فـانتفعوا، أنـه مـن عـاش مـات، ومـن مـات فـات، وكـل مـا هـو آت آت ، إن فـي السـماء لخبـراً، وإن فـي الأرض لعبـراً. ليـل داج وسـماء ذات أبـراج وأرض ذات رتـاج وبحـار ذات أمـواج مـالي أرى النـاس يـذهبون، فـلا يرجعـون؛ أرضـوا بالمقـام، فأقـاموا، أم تركـوا هناك فناموا!.**

3- الخطبة الموسمية :

ونقصـد بالخطبـة الموسـمية تلـك التـي تلقـى فـي مواسـم الحـج والتجـارة ويكـون موضـوعها فـي العـادة سـوقا مـن أسـواق العـرب السـنوية, تلـك التـي تعقـد فـي صـور مهرجـان أدبـي وديني واقتصادي وسياسي عظيم.

واهـم أغـراض الخطبـة الموسـمية الـدعوة إلـى الصـلح والسـلم وسـن السـخائم مـن الصـدور وعقـد المعاهـدات والأحـلاف. وفـض خصـومات الأرض والميـاه والسـلع والتجـارات. وقـد سبق ان استشهدنا بخطبة (**قيس بن ساعدة**) التي القاها في سوق عكاظ .

ومما يلاحـظ علـى الخطـب الموسـمية أن الخطيـب فيهـا اسـتعاض عـن السـيف بالعصـا أو المخصـرة , لـيس علـى سـبيل شـيء سـوى تقليـد ذلـك النـوع مـن الخطـب الحربيـة أو الحماسـية والإيمـاء إلـى أصـلها . وذلـك أن الخطيـب لمـا وجـد إن إبقـاء الكـف خاليـة , قـد يسـبب لـه إحراجـا, أو إشـغالا ليديـه فـي أمـور مسـتهجنه اجتماعيـا ولا يقبلهـا جمهـور

[5] الأمالي 92/1

الحاضرين كمسح الخطيب لشاربه أو حك ذقنه أو جوارحه فرأوا إشغال اليد بشيء أفضل من تركها خالية.

ولم يلتزموا في الخطب الموسمية اسلوب السجع المتبع في وعظ الكهان. بل استساغوا الاسلوب المرسل الا في حالة المنافرة فقد استخدموا السجع بجمله الطويلة وعباراته الواضحة المفهومة.

4- الخطبة الرسمية :

ولم يتأيد لنا في الخطب الرسمية أن الخطيب كان يتبع بها نفس أسلوب الخطب الموسمية لأن هذا النوع من الخطب يلقى في مسامع الجمهور من أرباب أمورهم من الملوك والرؤساء في الإغراض السياسية , أو يلقى من قبل الوفود أو رسل الملوك والرؤساء إلى أندادهم, كالوفد الذي أرسل به العرب إلى الملك اليماني سلامة ذي فايش ووفدي العرب على كسرى , ووفادة عبد المطلب بن هاشم يهنئ سيف بن ذي يزن باسترداد ملكه من الحبشة , ووفادة ضمرة بن ضمرة على الملك النعمان بن المنذر.

5- خطبة الاملاك:

وخطبة الإملاك فهي تطول وتقصر بحسب مقتضى الأمر ، إذ تلقى في مناسبة سعيدة لدى جميع البشر وهي ساعة يختار الإنسان شريك العمر ورفيق الرحلة في هذه الحياة وقد اعتاد العرب قبل الإسلام إذا أراد أحدهم أن يتقدم لخطبة فتاة أن يفصح عن ذلك أمام أهلها بكلمة يضعها بين يدي حاجته يبرز فيها قدرته على النطق وسلامة العقل وحسن التوجه في إيصال الأمر وإيضاح الحال أمام المعنيين كما يبرهن بها على فطنته وذكائه. وهذه المعاني التي ذكرناها هي المطلوبة من الخطيب ساعة الخطبة لذلك نحن نرجح ان كلمة (**الخطبة**)[6] و(**الخاطب**) و(**المخطوبة**) وتعود الى الجذر القديم للخطبة التي تعني القاء كلمة مناسبة لمقتضى الحال، ثم صارت اصطلاحا لهذا العرف الاجتماعي النبيل، والذي يدل على اصالة في بناء المجتمعات الانسانية المتقدمة لان الاهتمام في مثل هذا الاعراف والعادات وبالأخص ما يتعلق بالصلاة الانسانية بين الرجل والمرأة، دليل على رقي النفس البشرية واحترامها للعلاقة المقدسة بين الجنسين. هذا وإن أشرف مثل نستشهد به هي خطبة أبي طالب بن عبد المطلب في زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة بنت خويلد، فهي أنضج ما لدينا من خطب الزواج في أخريات العصر الجاهلي حيث قال: **الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل، وجعل لنا بلداً حراماً، وبيتاً محجوجاً، وجعلنا الحكام على الناس؛ ثم إن**

[6] تكون مكسورة الخاء تميزا لها عن كلمة الخطبة، بضم الخاء، ومثل هذا الاستخدام في تغير حركة الحرف عند ما تكون اللفظة واحدة، كثير في كلام العرب.

محمد بن عبد الله، ابن أخي، من لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح عليه براً وفضلاً، وكرماً وعقلاً، ومجداً ونبلاً، وإن كان في المال قل، فإنما المال ظل زائل وعارية مسترجعة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتم من الصداق فعلي. بسمك اللهم ذكرت فلانة، وفلان بها مشغوف باسمك اللهم ولك ما سألت ،ولنا ما اعطيت. ولم يشترطوا في الخطيب أن يخطب بنفسه , بل سوغوا له أن ينيب عنه من يخطب بدلا منه عندما يكون هذا البديل شخصا عظيما والفتى الخاطب معروفا . وقد يكون البديل من أهل الخاطب أو من أقربائه الأدنين , فإن لم يتيسر فقد أوكلوا الأمر إلى كاهنة أو شيخ قبيلته أو رئيسه .وتعارف العرب على أن خطبة الزواج يلقيها الخطيب وهو جالس خلافا لجميع أنواع الخطب وغيرها , حيث يلقيها صاحبها واقفا. وتعارفوا أيضا على أن يطيل الخاطب ويقصر المجيب , وألا يكثر الخاطب من مدح نفسه , بل يترك ذلك إلى أهل الفتاة , لكنه يفخر بخلاله وأمجاد قومه فخرا موجزا كما يقتصد في كل حديث لا علاقة له بالموضوع , لكنهم سوغوا لهم أن يسهب قليلا في التعبير عن مشاعره وإعجابه بالقوم الذين يريد أن يصهر إليهم , وان يمتدح أهل الفتاة ويطري على سمعة المخطوبة ثم يرد على أهل الفتاة مقتضبا , ينوه بالرضا فيتم الأمر , أو الانتظار فيؤجله , أو الاعتذار فيرفضه ويحسمه. وان اشرف مثال على ذلك خطبة ابو طالب.

المصادر:

- **كتاب تاريخ الادب العربي قبل الاسلام للدكتور نوري حمود القيسي.**
- **الزوزني في شرح المعلقات السبع لأبي عبد الله الزوزني.**
- **كتب الامثال.**
- **كتاب البيان والتبين للجاحظ.**

{ الفهرس }

الفصل الرابع:

- **1- امرؤ القيس.**
- **٢- عروة بن الورد.**
- **٣- حاتم الطائي.**

الفصل الخامس:

- **طبيعة النثر الجاهلي.**
- **رواية النثر الجاهلي ومصادره.**
- **مجموعات مصادر النثر.**
- **كتب الامثال.**

- كتب التفسير والشروح
- كتب السيرة والتأريخ والبلدان والمغازي.
- كتب اللغة العربية والادب والثقافة العربية.
- انواع النثر وفنونه.
- الامثال والوصايا والحكم .
- الامثال.
- الوصايا.
- الحكم.
- سجع الكهان وغيرهم.
- الخطبة وانواعها.
- الخطبة الحماسية.
- الخطبة الوعظية.
- الخطبة الموسمية.
- الخطبة الرسمية.
- خطبة الملاك.
- المصادر.
- الفهرست.